بالخبرة الا (المواد المنحلّة) في الهيئة الاجتماعية . وتراهم مع هذا يتخذون بسذاجة غرائزهم المنحلّة بهذه المبادئ المنحلّة كقاعدة يبنون عليها احكامهم السسيولوجية . فاصبحت فكرتهم السسيولوجية الكبرى : تدلي الحياة وانحطاطها وانقاص كل القوى المدبرة المنظمة اعني القوى التي تفصل بين الناس وتحكم العلائق بين الرئيس والمرؤوس بنظام ضروري . نعم ان الاشتراكيين قوم منحطون ولكن المستر هربرت سبنسر (١) منحط ايضاً لانه يقول (بالغيرية) ويتمنى غلبتها"

زيارة
للبيت الابيض والكونكرس

البيت الابيض مستقر رئيس الجمهورية الاميركية والكونكرس «مجلسا النواب الاميركيين» زارهما الكاتب في زيارته لواشنطن (العاصمة) وكتب فيهما الرسالتين التاليتين

بقلم نقولا افندي الحداد

بلغتُ الى الرأس من بدن الامة الاميركية . وما اشبه واشنطون بالرأس . فان فيها دماغ الامة الاميركية ومجموعها العصبي . فهي اذاً مصدر الحركة والقوة . وما مظاهر الهيئة الاجتماعية الاميركية الا العضلات التي تتحرك بقوة ذلك المصدر من القوى الدماغية المهمة اثنتان الضمير أي القوة المشترعة والارادة أي القوة المنفذة الشريعة

(١) الفيلسوف المشهور

ففي الكابيتول — مقر مجلسي الشعب — ضمير الامة الاميركية الذي يدل على العدل والحق ويشترع لها

وفي البيت الابيض ارادة تلك الامة التي تنفذ ما يوعز به ضميرها

وقد قصدتُ الى كلا ذينك — الضمير والارادة

الضمير

الكونكرس (مصدر الشرائع)

قصدتُ الى الكابيتول حيث يجتمع مجلس النواب ومجلس الشيوخ فاذا هو بناء فخيم جداً رابض في وسط المدينة ومن حول دائرته تبتدئ الشوارع طولاً وعرضاً ومواربة . فالشوارع العريضة من الجنوب الى الشمال تسمى بالاعداد يميناً او يساراً . والشوارع الطويلة من الشرق الى الغرب تسمى بالحروف الهجائية شرقاً او غرباً . والشوارع المتواربة التي تقاطع الشوارع المذكورة آنفاً من زاوية الى زاوية تسمى باسماء الولايات المتحدة — وهو نسق حسن الترتيب

اما الكابيتول فجميل البناء جداً غير فائق الزخرف ولكنه متقن الفن نفيس المادة معظمه من الرخام ونحوه وانيق الرياش . يقال ان نفقة بنائه بلغت نحو ١٥ مليون ريال

ففي منتصفه بهوٌ واسع جداً تام الاستدارة ومغطًى بقبة شاهقة جسيمة ليس فيها موضع كف بلا نقش وفي جدرانه صور زيتية ثمينة . وهو كرحبة ومجلس للداخلين . وعن يمين ذلك البهو يُدخَل الى رواق يؤدي الى نادي مجلس النواب . وهو بهو مستطيل مربع الزوايا . وقبل قامة من سقفه تستلقي جدرانه الاربعة الى الوراء حيث جُعلت فيها المجالس صفوفاً متدرجة الى الاعلى للزائرين

اما ارض البهو فتشغلها مجالس الاعضاء على شكل أهلة بعضها وراء بعض على طوله . ولدى منحناها أي في صدر البهو منصة رئيس المجلس وسائر موظفيه

وحول ذلك البهو اروقة يدخل منها الى مكاتب مختلفة . ذلك ما هو الى يمين الرحبة المركزية ذات القبة . اما ما هو الى يسارها فقاعة للمحكمة العليا وبهو آخر لمجلس الشيوخ على مثال مجلس النواب تماماً

وكنت اظن ان الدخول الى أي المجلسين يقتضي جهد السعي الى أذن ممن لهم اصبع فيهما لان المجلس الذي اقامه ٨٤ مليون نسمة ليكون ضميره الحي فيدله على الصالح ويحذره من الطالح بما يشترعه من الشرائع — لا بد ان يكون مكتوماً عن العوام مصوناً من الابتذال وقور الحضرة رهيب المجتمع

على اني ما غفلت عن التسآل فعلمت ان مجلس النواب منعقد حينذاك وان الدخول الى الشرفات العليا حيث يجلس الزائرون مُباح لاي الناس بلا استثناء اللهم الا من يكون وجوده سبب اضطراب في المجلس . فصعدت ودرت حول نوافذ تلك الشرفات فقرأت فوق ابواب بعضها هذا للسيدات وذاك للساسة وذاك لعائلات الاعضاء وذاك للصحافيين وذاك للرجال فدخلت في هذا فرأيت غير ما كنت أتوهم

كنت اتوهم ان مجلساً كهذا لابد ان يكون طويلاً عريضاً جداً حتى لا يكاد المتطرف فيه يسمع صوت المتكلم في منصته . وان الزائرين يكونون في مكان منفرد بعيد وانهم يعدون على الاصابع لعدم جواز ان يحضر أي كان وان القوم يكونون سكوتاً كأن على رؤوسهم الطير

ولكني رأيت ان البهو كما وصفته وليس اوسع من صحن ملعب معتاد وحول اعلاه مقاعد الزائرين وهي غاصة بهم وفي مجالس الاعضاء الاربع مئة

التي تشبه مجالس طلبة المدارس تماماً لولا نفاستها لا يوجد اكثر من ٤٠ او ٥٠ عضواً هذا يدخل وذاك يخرج وذلك يدنو من المنصة ويهمس في اذن احد الكتبة وذلك مستلقٍ في مقعده كأنه يستقبل ملاك الكرى . وهذاك يقرأ جريدة وهذا يعنون تحريراً ويلصق عليه طابع البريد . واثنان او ثلاثة يتناوبون الوقوف في مجالسهم ويتناقشون . ورئيس المجلس كل هنيهة يضرب بمطرقته الخشبية تنبيهاً للحضور لحفظ النظام والسكون . وبعد مناقشة المتناقشين يقرأ الرئيس صورة الاقتراح ويقول ,, الذين يوافقون عليه يقولون (آي) والذين لا يوافقون يقولون (نو) فبعضهم يقولون آي وبعضهم يقولون نو فالوجه الذي يراه الرئيس ارجح يقرره ويصبح مرشحاً للعرض على مجلس الشيوخ

وكان حين وجودي هناك بحث المتناقشين في منع سباق الخيل من مقاطعة كولومبيا التي فيها هذه العاصمة فتقرر منعه

والذي يشاهد ذلك المجلس لايكاد يصدق انه مجلس الامة الذي يسن شرائعها لبساطته وخلوه من الرسميات واكتفائه بحفظ النظام فقط . ذلك لان الاميركان لا يعبأون بالابهة ولا يتبجحون بالفخر والعظمة

والذي لاحظته وادركته حينئذ انه لم يكن لدى المجلس من اللوائح المهمة التي تستوجب تناقش الاعضاء جميعاً كلائحة (ألدرش) المختصة بترويج حركة النقود مثلاً او نحو ذلك والا لكان النادي مستوفى الاعضاء وكان الجدال محتدماً بينهم . اما والمواضيع كانت غير مهمة فقد اجيزت عدة اقتراحات غير اقتراح منع السباق في البرهة التي كنت فيها هناك من غير ان يتناقش فيها بعض الاعضاء

ثم انه لا يخفى ان لدى مجلسي الامة في هذا الفصل بضع مئات لائحة . ولهذا تقسّم الاعضاء الى لجان مختلفة كل لجنة تبحث في جانب من تلك

اللوائح . وبالتالي كان عدد الاعضاء حينئذ قليلاً جداً

وفي حين آخر قصدتُ الى مجلس الشيوخ فرأيت فيه مثل ما رأيت في مجلس النواب الا ان النظام فيه أتم

اما الامر الذي انتبهت اليه على الخصوص فهو انني لم أرَ في ذلك البناء العظيم ولا لدى مدخله جندياً قائماً على سلاحه لاجل الحراسة كما نرى في البلاد الملكية الاحكام حيث تحرس دور الحكومة فرق من الجنود او الشرطة . فكأن الكابيتول ليس الا بناء تشغله شركة تجارية او جمعية ادبية

الارادة

(البيت الابيض . منزل رئيس الجمهورية)

دخلتُ الى البيت الابيض عرضاً . ذلك اني دخلت الى الخزينة من باب وخرجت منها من باب آخر فرأيت امامي منزلاً ابيض وبعض الناس يؤمونه فتقدمت اليه

ولما دخلت بابه وجدت في رحبته الاولى رجلاً كأنه جنديٌ او شرطي وبعض السيدات يسألنه اموراً حتى اذا انتهينَ سألته ما هذا المقام فقال (ذي هويت هوس) البيت الابيض . فتعجبت

البيت الابيض يعني قصر حاكم المملكة الاعلى مثل قصر بكنهام الانكليزي او قصر بترهوف الروسي او قصر يلدز التركي

تعجبت لاني رأيته وانا مقبل عليه ليس الا منزلاً بسيطاً جداً وفي المدينة كثير من المنازل افخم منه واجمل وربما كان بعضها اكبر منه

فطفتُ مع الطائفين في قاعاته المفتوحة للزائرين . فاذا هي بسيطة ايضاً قليلة الزخرف ولكنها نفيسة الرياش ومزدانة بصور بعض الحكام والروساء

السابقين وزوجاتهم

وبعد ما طفت بضع قاعات اتصلت الى باب وقد كُتب عليه (خصوصي) ففهمت ان هناك تقيم حينئذ اسرة الرئيس

ولم أرَ في تلك الاندية التي طفت فيها سوى ثلاثة اشخاص لعلهم شرطة يستقبلون الطائفين فخاطبت احدهم وقلت له هل من سبيل لرؤية الرئيس ؟ قال اذا كنت ذا شغل معه فلا مانع من ان تراه والا فهناك يوم في السنة يستقبل فيه كل زائر بلا استثناء . وفيما سوى ذلك لا وقت عنده لمقابلة الراغبين في مقابلته لانه اذا اباح مقابلتهم شغلوه عن مهامه

فقلت عند ذاك في نفسي فلتحيَ الديموقراطية لانها تحظر استكبار الافراد لتفاوتهم في هممهم ومواهبهم وتمنع استعلاء بعضهم على بعض مهما انفرجت اقدارهم ولتزل الارستوقراسية التي تعالى فيها بعض السلالات على بعض حتى قد يكون الاحمق مستعلياً على النابغة

ولما خرجت من البيت الابيض وجدت وراءه بناءً كبيراً فدخلت اليه وسألت ما هو فقيل لي هو ديوان الحربية فقلت في نفسي . عجيب أيكون هذا ديوان الحربية ولا جندي فيه للحراسة او للمظهر الرسمي او للدلالة على ماهيته ؟

وقد وقفت لدى احد الموظفين هناك وسألته في ذلك فقال ,, لا رسميات عندنا وما الحكم عندنا على اختلاف انواعه الا كسائر الاعمال الاجتماعية . ولا داعي هنا لحراسة الديوان بقوة جندية سوى اظهار الابهة والفخار ونحن لا نعبأ بها كما ترى . ولا ثوب رسمي في بلادنا سوى ثوب الجندية الذي لا بد من وحدته للدلالة كما انه لا بد من رسمية قبعة المشتغلين في السكك الحديدية او في المركبات الكهربائية للدلالة على وظائفهم لا للابهة ''

فقلت ان حديثك هذا يذكرني بشاهد عليه وذلك انه لما انتشر نعي

الطيبة الاثر الملكة فكتوريا احتفلت المدرسة الكلية السورية في بيروت بجناز لها ودعت والي الثغر واهـل الخطط فيه وقناصل الدول فكان جميع القناصل بالاثواب الرسمية المقصبة الا قنصل اميركا فكان بينهم مغايراً لهم بالثوب المعتاد اذ لا ثوب رسمي له

ثم سألته اين النادي الذي تجتمع فيه الوزارة الاميركية فقال في مكتب الرئيس الذي في البيت الابيض

فقلتُ أفي ذلك المنزل الصغير يوجد مكتب رئيس الولايات المتحدة وفي مكتبه يجتمع وزراء الدولة للبحث في شؤون البلاد

فقال نعم

فقلت أفي ذلك المقام الصغير يلتقي وزير البحرية بالرئيس ويتباحثان بأمر ارسال الاسطول من الاتلانتيك الى الباسفيك ويلتقي به وزير الخارجية ويقرران السياسة مع اليابان

فقال نعم نعم

فقلت أمن ذلك المكتب الصغير صدرت الكتابة التي اقنعت روسيا واليابان ان ترسلا مندوبيهما الى هذه البلاد لعقد الصلح

فقال نعم منه . منه تصدر كل الاوامر وكل سياسة محلية او دواية

فقلت عجيب ما اكبر فعل هذا المكتب الصغير وما اوسع تلك الغرفة الضيقة التي تستطيع ان تعي وزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الحربية ووزير المعارف ووزير الزراعة وو الخ وأخيراً رئيس الولايات المتحدة

فابتسم وقال — لا يخفى عليك ان مملكتنا لم تزل حديثة

فضحكت معه وقلت انكم تعبأون بالافعال دون الاقوال وتعتصمون بالجوهر دون العرض . وهذا هو سرّ رقيكم بارك الله فيكم ﴿ نقولا الحداد ﴾